إضاءات على الحركة التجديدية في الشعر الحديث العراق أنموذجا

د. صادق فتحي دهكردي
ruaaabass990@gmail.com
جامعة طهران /مجمع فارابي
باسم محمد ناصر
bassemm1122@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الملخص

تلقي هذه الدراسة ضوءاً أو أكثر على خاصية أساسية من خصائص الشعر الحديثة، والمراد بهذه الخاصية هي سمته الجديدة وما يشع من عناصرها شكلا ومضمونا ودلالة ، فهذا ما يشكل الجده في هذا النظم من الشعر وفي طريقه الخاص الذي يبدع فيه ، والذي يبرزه عن كل ما سبق، كما تسجل هذه الورقة البحثية ايجابيات هذا التجديد من شموله وعمقه وإنسانيته ما يمكن أن نجعل منها بحق استجابة طبيعيه لتوق الإنسان إلى التحرر والإنعتاق من كل المعوقات الواقعية الناتجة عن ترسبات ذهنية ونفسية خلفها الزمن الماضي، أن التجديد والتغير في الشعر الحديث ورؤاه الأبداعية هما علّةُ وجوده، وأنّ تجاهلهما يقود بشكل أو بآخر إلى تجاهل دعاويه التحرّريه، سنسلط الضوء على التجديد وما تضمنه من تقنيات لبعض الشعراء من اختزال وتنوع بالموضوع والسيرذاتي والانا والذات والتجارب الواقعية وزجها بصور فنية في أشعارهم فمنها ماهو ايجابي وممتع ومنها ما يسجل عليه في الاغراق في الانا أو الاكثار منها ربما في منطقة اللاوعي او للاشعور وقد تحتسب عليه على رأي بعض النقاد . فهناك كم من الشعراء والنقاد والقرّاء، ولكلاً منهم اتجاهاته النفسية وأنماطه الفكرية، وتوجهاته الثقافية والاجتماعية، وفي ضوء ذلك يتحدد الاتجاه الأدبي الذي يميل إليه كل منهم، فيلتزم بنظرية نقدية مغايرة تماماً للأخرى من حيث المنطلقات والأهداف

الكلمات المفتاحية: التجديد،تنوع الموضوعات، الاختزال الشعري،السير ذاتي.

Illuminations on the renewal movement in modern poetry, Iraq as an example

D. Sadiq Fathi Dehkerdi
University of Tehran/ Farabi Complex
Bassem Muhammad Nasser
University of Tehran/ Al-Mustansiriya University

Abstract

This study sheds one or more light on a basic characteristic of modern poetry, by which we mean the renewal that radiates in all its formal, objective, and subjective semantic elements, which constitutes the novelty in this poetry and in its special creative aspect, and distinguishes it from all previous experiences. This study also notes the positive aspects of this Renewal, in its comprehensiveness, depth, and humanity, is such that we can truly make it a natural response to man's longing for liberation and emancipation from all realistic obstacles resulting from mental and psychological deposits left over from the past. When will something of this be achieved? We shed light on innovation and the techniques it included for some poets, such as reduction and diversity of the subject, the autobiographical, the ego, the self, and realistic experiences, and mixing them with artistic images in their poetry. Some of them are positive and enjoyable, and some of them are recorded in drowning in the ego or increasing it, perhaps in the area of the subconscious or the subconscious, and it may be counted as it. Opinion of some critics.

اهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى الوقوف على أهم مظاهر التجديد في الشعر العراقي الحديث،وتسليط الضوء على تنوع موضوعات الشعراء الجدد المعاصرين ممن لازال يكتب في شعر التفعيلة، وكذلك إلى التعرض لأهم رواد الحركة التجديدة الآنية في العراق ممن هم من الأكاديميين وأساتذة الجامعات أمثال عارف الساعدي وحمد الدوخي متعرضين لنماذج من أشعارهم للوقوف على ما بها من تنوع للموضوعات واختزال للغة الشعر ومظاهر تجديده .

الأسئلة والفرضيات التي تتناولها الدراسة

١- الخاصية الأساسية من خصائص الشعر الحديث،هي خاصية التجديد : ونعني بالتجديد هو التجديد الذي يكون في العناصر الشكلية الموضوعية والدلالية ذاتها، الذي يشكل الجده في هذا النظم من الشعر وفي طريقه الإبداعي الذي يخصه ، وتميزه عن ما سواه من أطروحات سابقة ، كما تسجل هذه الدراسة

٢- ايجابيات هذه الجدة من شمولها وعمقها وإنسانيتها ما يمكن أن نجعل منها بحق استجابة طبيعيه لتوق الإنسان إلى التحرر والانعتاق من كل المعوقات الواقعية الناتجة عن ترسبات ذهنية ونفسية خلفها الزمن الماضي،

٣- فمتى تم تحقيق شيء من هذا، أمكن للإنسان العربي أن يحسن استخدام إمكاناته وطاقاته الاستخدام الأمثل ويعرف المهتمون بالشعر العربي ما يتعرض له هذا الفن من هزات، وما يشهده من تحولات، تطاله في الصميم من كيانه، هذا الأمر يوشك أن يرمي به في أتون أزمة شديدة، لم تسعفه بفترة يرتاح فيها من عناء هذا التوتر والتململ الذي ينتابه.

الدراسات السابقة وخلفيات البحث

١- التاريخ وحداثة الشعر مرجعية القصيدة الحديثة في العراق، أ.د. محمد رضا مبارك

٢- الصورة المرئية في الشعر العراقي الحديث (نماذج من شعراء الستينيات) لمياء مدحي إبراهيم , الماجستير في اللغة العربية وآدابها , جامعة تكريت , ٢٠١١ .

٣- الذاكرة نصّاً في الشعر العراقي الحديث ـ التجربة الشعرية عند الروّاد ـ فاتن عبد الجبار جواد الحياني , الدكتوراه اللغة العربية وآدابها , جامعة بغداد , ٢٠٠٦

٤- المدينة في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٨-١٩٨٠ , عبد الله حبيب كاظم التميمي , دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها , الجامعة المستنصرية٢٠٠٤ .

٥- التناص في الشعر العراقي الحديث جيل رواد الشعر الحر , الباحث احمد ناهم جهاد اشراف د بشرى محمد البشير , ماجستير .

٦- الأمام الحسين بن علي في الشعر العراقي الحديث، د. علي حسين يوسف .

٧- متوالية التأزم والانفراج في قصيدة (الحسين)للشاعر الدكتور حمد محمود الدوخي

المقدمة :

التجديد في الشعر العربي الحديث: وهو محاولة الخروج بالقصيدة العربية من دائرة التقليد من حيث الغرض والقالب والفكرة والأسلوب ,وتتجلّى أهم مظاهر التجديد في الشعر العربي الحديث فيما يأتي: التجديد في الموضوعات الشعرية وعدم الوقوف عند الموضوعات التي طرقها الشعراء القدامى

كل الأحاديث التي دارت حول قصيدة التفعلية الجديدة حتى الآن، هي ليست كافيه لصياغة مقولة نقدية، تظبط طبيعتها، وتذهب إلى نتيجة أو حكم معين ، صالحةٍ لتُعمم على غير نموذج، من خلال ما يمكن استخلاصه من معايير حاسمة، ينظر في ضوئها هذه الأشكال من الشعر الجديد المندفع بحيويه منذ أكثر من نصف قرن.

لا تدعي هذه الورقة البحثية اللإنتهاء بأية نتائج ، لطبيعة الشعر الحديث تأبى مثل هذا النوع من الأحكام كون إن الإبداعات لا تزال تتوالى، وتحمل قدراً من الرؤى و الكشوفات الجديدة،

والإشكال المستحدثة، وبتأثير من هذا الفهم لطبيعة النظم الشعري الجديد، تحددت مهمة هذه الورقة البحثية على الاكتفاء بتقديم وجهات نظر مخصصة منفردة، فهي مهما تعمقت في الخوض بغمار هذا الموضوع، لن تعطي أكثر من اتجاه واحد من الاتجاهات العديدة التي بدأت تطرح وجهات نظرها في القصيدة الحديثة ومشروعها القائم.

إن جانباً كبيراً من أزمته تلك يظهر تحديداً بفعل اللغط المتعاظم حول نظريته النقدية المتوارثة التي تعاقب عليها تاريخياً شعراء وكتاب اجتهدوا في وضع مجلدات ضخمة، أودعوها كل شاردة وواردة تتعلق بالشعر بما هو في عرفهم (صناعة) قائمة عل قوانين و أسس، نجدها تتكرر و تتوضح تدريجياً فيما أثر عنهم بالنقل المتواتر، يوحي هذا الأمر بان تلك النظرية النقدية أريد لها أن تكون هكذا، نهائية وقطعية حتى تذهب إلى تلوّين طباع الناس بألوانها، وتوجه اهتماماتهم بطريق توجهاتها، وتحدد لهم امكانية شعرية أو مزاجاً أدبياً.

كان من أثر ذلك أن يرفد الشعر الكلاسيكي بقدرة لا توصف تمكنه من الصمود أمام العوامل المعاكسة الآخذة في اجتياحه منذ زمن، وأن يضاعف في الوقت نفسه من منشئات أزمته، ويزيد إشكالية ما يعرف بتصارع الإرث القديد والمد الجديد حدة بروزاً، فحين تأخذ مسألة الشعر العربي طابع (إشكالية) يتجاذبها طرفان لكل منهما يقينه وقدرته على سوق ما يشاء من الحجج المقنعة، عندها لن نتوقع إلا المزيد من تعقيد تلك المسألة، وتمديد التنافر والتباعد بين أطرافها إلى مسافة بعيدة.

ففي حين تسير قراءه الشعر الجديد وفق الأمثلة المطلقة الموروثه، وعلى وفق النظرية النقدية المتوارثة بتقاليدها ومفاهيمها الجمالية، ويسود بتأثير هذه القراءة نمط شعري تقليدي في معظم صروحنا الثقافية الأكاديمية ومحافلنا الرسمية، بمراجعها ومصادرها المعتمدة، ويتم التعامل مع الشعر جمعيه بطريقة تبعث على التعجب والدهشة من الثبات والسكون والاطمئنان، وكأن لا شيء يحدث خارج الجدران، في حالة نجد في اللحظة عينها إن حياة أدبية تتحرك بنوع آخر من الشعر، تعيشها أوساط ثقافية فاعلة ومؤثرة، تجهد هي أيضاً في ابتداع شكل آخر من القصيدة جديد كل الجدة مغاير شديد المغايرة أحياناً، يخرج وينتشر بشكل سريع، هذا الشعر الذي يحلو للبعض تسميته المعاصر ويطلق عليه آخرون ونحن منهم بالحديث، حيث يحظى خارج المؤسسات الأكاديمية باهتمام لا يستهان به، وبعناية كبيرة من قبل قطاعات عريضة من المثقفين الذي يجتهدون في وضع أسس لنظرية نقدية جديدة مُستقاة مما توافر لها حتى الآن من نتاج شعري يبدعه شعراء لا مجال لشخص بتجاهلهم أو تقييد تأثيرهم.

ولذا فإن هذا الشعر يبقى مختلف عن جميع التجارب السابقة، ومخالفاً في معظمه كلَّ نمط شعري تقليدي في خصائصه الفنية والموضوعية، وأن حاول بعض النقاد والدارسين وضعه داخل التراث الشعري العربي العام أو سعى غيرهم إلى أدراج منجزاته في الأطر والمضمون في الأتجاه

التطويري الذي سلكته القصيده العربيه إتجاها لوصولها الى محطاتٍ هامة في التجدد المتطور أفكاراً ولغة منذ القديم(١).

التجديد بين التراث والحداثة :

لعل الضجة الكبرى في الساحة الأدبية والتي آثارها جماعة مجلة (شعر) في دعوتهم إلى تغيير جذري شامل تشكل حدثاً بارزاً ومهماً في تلك المحاولات الرامية إلى هذا الغيير، فيما صاغوه من الشعر، فقد أضافوا مصطلحات أدبية شعرية جديدة، ووضعوا تعريفاً لكل من الشعر والشاعر، وحددوا طموحهم الأساسي الذي يتمثل في تغيير جميع الأنماط والأشكال السائدة في التراث العربي، وخلق تراث أ دبي شعري جديد، يبدأ بهم و لا ينتهي أبداً عن التخطي و الأبداع باختراق الأيدولوجية العربية السياسية والاجتماعية والثقافية، بهدف أعادة صوغ ايدولوجية حضارية ثقافية شاملة بعناصر شعرية .

إن من طموحات الشاعر الحديث أن تكون كل قصيدة بمثابة قبس من نور يضيء حيزاً من الواقع، وهذا طموح إنساني شاق شأنه أن يؤدي ليس فقط إلى أن يجتاز الشاعر أعمال الآخرين، بل وان يجتاز نفسه بصورة دائمة، فيكون العمل الفني متقدم ومتنامي في الزمان والمكان .

من ذلك نفهم ما يقال عن الشاعر الجديد كيف انه يخلق الأشكال والقيم، ويثير الأسئلة، ويزيد من كمية الأفكار، ويحررّ النظريات والتصورات من أسر الزمان التاريخي، بمعنى انه يُضفي على عناصرها الجدة والحيوية، بنقدها وتعريضها لعمليات دائمة من حذف وإضافة، إذ تُسقط منها كلَّ مختلف من شأنه أن يطرح الشكوك في صلاحيتها أو أن يصيرها مختلفه عن زمنها، وقاصرة عن الاستجابة لاحتياجات الناس.

وبهذا يمكن القول أن أولى عناصر الحركة التجديدية في الشعر الحديث تتشكل من جدلية بيَّنه في حتميتها ولزومها، الطموح الإنساني إلى التجاوز والتمرد الايجابي الخلاق، فالشعر الحديث في مجمله ليس إلا دعوة إلى القيام بعملية تجاوز مستمر لكل مخلفات الزمن التاريخي والميتافيريقي من الحيز المكاني الواقعي، ففي منظور الشاعر الحديث لاشيء من هذه المخلفات يمكن ان يكتسب قُدسية الثبات أو شرعنة الحالة الساكنة في الواقع الذي ينضوي لحركتين انتقاليتين في الزمن والمكان ، تدفع به دفعاً تطورياً متنامياً، ليستشرف أصقاعاً جديدة ومحطات مغايرة ولعل أكثر ما يعاني منه الشاعر الحديث رؤيته الى الزمن وقد تجّمد في محيطه الواقعي على أنماط ومفاهيم سلفية بعينها، ويمكن أن نتبين الدرجة القصوى لهذه المعاناة فيما يرسمه الشاعر من عجز الزمن عن حدوث أي تغير في الانواع والأشكال والمفاهيم المتبقية والمتراكمة في الذات الفردية والجمعية كأنصاب متكلسة فقدت كل أثارة أو فكره، الخطب الذي يؤدي إلى الإحساس ببط حركة الزمن وثقله وعمق وطأته.

إن جزأً كبيراً من مأساة الإنسان تلك عائدة إلى موقفه المتذبذب من زمنه، فأي تهالك حياله واستسلام لمعاييره وأنماطه في لحظات ثبوته وسكونه، يعمق من عجز الذات وقصورها، ويحد كثيراً من قدرتها على الفعل والتفاعل الحي، وعلى تحقيق الانجاز الذي تطلب، فالشاعر الحديث ينطلق اساساً من إيمان لا يتزعزع بالإنسان وثقة تامة بقدراته، والواقع أن العجز والقصور ليس ألا نتيجة مباشرة لارتماء الإنسان العربي في عتمة التصورات والأوهام، وخضوعه المستمر لمنطق أفكار موجهة من السلطات المهيمنة الزمنية وغير الزمنية، إذ نجحت قوى التسلط من مسخ الكثير من النصوص النبيلة، وأعملت فيها من التأويل التعسفي والتفسير بالكيف، إذ أدى إلى فقدها لكثير من ابعادها الايجابية.

لذا ظل الشاعر الجديد يبدأ من عتبة الرفض الحاسم لمفهوم الواقع المؤدلج، فيعمل على التخلص منه، ونزع منه أية فعالية في توجيه الفكر وبناء التصور، فان كل عملية ابداع بما هي فعل تعبيري، لابد من أن تنخرط في هذا المسلك التحرري المتواصل في الزمان والمكان، هذا التواصل في الزمن الممتد ليس ماضياً ولاحاضراً، إنما هو وعي بحركة التأريخ اللازمنية فحسب، هو سبيل الابداع الحقيقي المنطلق بزخم سابق من نقطة معينة الى مسافة تبسط للواقع المكاني مدى رحباً، تتقدم به الى الأمام، وعلى هذا النحو من التعامل الزمني ينبغي أن نفهم محاولات الشعر الحديثة تخطي الأشكال الجاهزه السابقة.

ولعل أهم ما يلاحظ في إيديولوجية الشعر الحديث تحكم كل عملية أبداعية، هو هذا القصد إلى الفرار من أغراء السكون، ودعة الإطمئان إلى المألوف من الأنماط والأشكال خوفاً من الوقوع في شرك التجمد، فالشاعر الحديث يحقق أبداعه الفني ليس فقط بتجاوز النماذج السابقة عليها، وإنما بتجاوز نفسه بصورة دائمة رافضاً أن يكون اليوم ما كان عليه بالأمس، فلا أبعاد ولا حدود ولا معالم في رأيه لتجربته الشعرية، ولا أنماط عامة أو قيم ثابته تراعيها القصيدة الحديثة، أليست الغاية من كل أبداع الخروج على جميع الخطوط العامة او الخاصة، وعلى كل من شأنه عقلنة أحوال النفس، وهذه بطبيعتها متغيرة متحولة متنامية على الدوام، فكل نص شعري محاولة أبداع قيم مفردة و انماط خاصة لا تعني نصاً آخر، تتحرك الظواهر فيه على نسق عقلي مميز، لا يمكن ربطه بعلة لايعيها الناس عادة إلا من خلال معلول ثابت لها، تتحرك بتأثيره في اتجاه واحد لا يتغير، فهذا الشاعر ماجد الحسن يقول : في قصيدته إعلان متأخر(٢)

" لا أبرىء دمي ...
من مخاوفك إيتها الخيول
فابحثي عن نهارٍ آخر
يوحدنا في الغبار "
((لا أبرىء صحراء ...

تعمدّ دماً سيخون لحظته الماطرة
لا أبرىء ملاذاتي في مرثية الدخان
وأقول ... ما قاله الليل في المائدة
لا ترحل!))

لم تحتفظ هذه الأسطر الشعرية من القصيدة التقليدية إلا برسم الكلمات، وخرجت على كل التجارب الشعرية السابقة ألا في إتكائها على حروف اللغة، أما القالب والبنية والصياغة والطرقات القائمة في اللغة وفي عناصر الصور المتبادلة بين الذات والموضوع، وفيما توحي به من عناصر النص جميعاً من الدلالات الشعورية، كل ذلك يقوم على أسس جمالية وأنماط فكرية ونفسية مختلفة كل الاختلاف عن كل نموذج سابق، لغةً وموسيقى وتراكيب وأفكاراً،اذ يقول ادونيس في هذا المعنى : لعل خير مانعرّف به الشعر الجديد هو انه رؤيا، والرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفهومات السائدة، إذاً هي تغير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها (٣).

((فالقصيدة بناء لمستقبل مرجو ومنتظر، وهي هاجس التجاوز الدائم فراراً من السكون والثبات والنزوع ابداً الى استشراف عوالم الجدة والابتكار، ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه، يستغرقون في عالم اللاوعي من أجل العثور على معايير جديدة))، يصوغون على أساسها الخطاب العصري المميز، المختلف بمفاهيمه وعلاقاته الماديه والمعنويه، فالمحاولة الجديدة جديرة بالاهتمام، وما دفعنا اليوم أن نذهب معها إلى الحدّ الذي تبلغه، وأن نترفق في الحكم عليها، أو على الأقل نتريث في ذلك لنرى، فلعل القائمين بها ينجحون فيما فشل فيه غيرهم.

فإذا كان لهذا النوع من النظم حساسيته الخاصة فإنه بهذا يحقق للمبدع غاية أساسية قصد إليها قصداً، وحملته الكثير من المعاناة، فكان طموحه الكبير أن تعّم هذه الحساسية نواحي الحياة كافة، وتشيع في جميع الأعمال الأدبية و الثقافيه عامه .

ولعل هذه الحساسية هي أهم ما يميز الشعر الحديث المتمثل بقصيدة النثر، والتي يمكن أن نوجزها في ثلاث أمور:-

الأول: كثرة الإبعاد وتعدد الدلالات، وهو ناتج عن إن الأفكار برصانتها و صفتها الإنسانية ، وبالأجواء المشوشة المثارة حولها، وبالصورة الغريبة الملفتة للنظر وفق ما انبعث منها في الذهن والوجدان من تجاذبات تتفتق عن أكثر من احتمال يتأتى للقارئ منها بقدر ما يبذل من نشاط تأملي ذهني ونفسي، وهو يستغرق في أجواء القصيدة، فينقاد إلى المدى الذي تقوده إليه ثقافته، وينفذ إلى البعد الذي يهديه إليه اتجاهه الروحي أو حالته النفسية، نفهم من ذلك كيف أن القصيدة في الشعر الحديث مناسبة لإثارة القارئ واستفزازه وإغرائه بالكد والمعاناة، وليس وسيلة للترويح عن النفس، فالعلاقة بين القارئ والنص علاقة جدلية كل يؤثر في الآخر ويتأثر به، القارئ يشارك في أبداع النص ويفرغ منه وقد داخل فكره تغيرُ نوعي جوهري (٤).

أما الأمر الثاني: فيمثل العواطف التي يهجسها القارئ في الدرجه القصوى من الاتقاد والتوهج، فكأن الشاعر يتمعن القسوه على ذاته، يرميها في أتون قضية جوهرية، بحيث يضحى الشعر كله معاناة مريرة، ومن ثم في تجسيدها رؤى و كشوفات خالصه من كل ما كان يشوبها من اشتباه واضطراب .

إن استغراق عواطف الذات في قضية عامه على هذا النحو من شأنه أن يوحدّ بين دواخل النفس و ما يحيط بها من الخارج، هذا التقابل الطبيعي وبعفوية يعود الى إيمان الشاعر وصدق التزامه بقضايا أمته المصيرية،فهذا الشاعر مروان عادل وهو يوحد رؤى الذات والموضوع ويمزج بين ما هو جزئي وما هو عام في قصيدة

" اغنية للجهة الاخرى " ٥ فيقول :

"لقد فات أوان موتي "

"و ما عدت قابلاً للانقراض"

"فاطلبي لي التوفيق أيتها الديدان الوفية "

"وشكراً عراقياً "

"لتركي احتفظ باسمي الثلاثي"

وبحقي في العودة "

والأمر لا يجري على هذا النحو من الأبداع الفني في الشعر القديم، حيث تجري العملية الشعرية وفق الأنماط والمفاهيم السائدة، فلا نجد هذا الانصهار والتوحد، والبراعة في شحن الأفكار بطاقةٍ تجعلها تتكشف عن احتمالات وإمكانات متعددة، ففي أرقى النماذج وأكثرها صدقاً نجد أن الشعر التقليدي يكتفي بالتعبير عن أثارة موضوع التجربة تعبيراً مباشراً وفق الأصول المتعارف عليها، وبالاتكاء على أدوات فنية محفوظة ومقننة.

في حين يتجلى الأمر الثالث بنسيج الصور الغريبة، فإن انصهار القضية موضوع القصيدة على النحو الذي تمكن الرؤى من أن تنفذ الى أبعد ما يمكن، وبهذا يتحقق للشعر إنسانية الكشف وشموليته وعموميته، هذه الميزات تنسحب على جميع عناصر القصيدة المجسدة لما يشيع فيها من عواطف وأفكار من خلال صور مادية غالباً، موضوعية جديدة، حيث يكمن جانب كبير من أبداع الشاعر في توصله الى صوغ هذه الصور وفق النمط الأمثل والأكمل، القادر على أحداث الدهشة الكاملة والصدمة المثيرة، المؤديان الى أحداث تغيير جوهري في رؤيتنا للأشياء، وفي طريقة حكمنا عليها وتعاملنا معها.

وربما تكون قصيدة عارف الساعدي مثالاً على اتجاه الشاعر الحديث لصوغ العالم صوغاً جديداً، بما يقيمه من علاقات وروابط وتشبيهات مغايرة تماماً لكل ما شهدناه من قوانين الكتابة والفكر، فهو يقول في القصيدة التي اطلق عليها اللوحة : (٦)

" سأحاول رسمك ثانية يا وطني "
"من أقفاص الدمع "
"ومن أحلام مفخخة "
"و أغان مهترئه "
"سأحاول رسمك "
"واعذرني يا وطني "
إن اللوحة منطفئة "

تقنية الاختزال الشعري والتحرر من الموروث السائد

كل الرؤى و الكشوفات تضرب في عالم جديد، ليس ظلاً لعالمنا أو نقيضاً له، بل هو بحسب الشاعر الجديد عالمنا الذي نحن فيه، بدأ متحرراً من التبعية للعقلاء وتوجيهاتهم، انه هكذا على حقيقته الادبية قبل أن تشوهه المفاهيم و الأنماط المحفوظة، وقبل أن يزيفه التصور الموروث .

وبهذا نفهم كيف أمكن لعملية التجديد في الشعر الحديث أن تدعي التحلل من الأنماط والأشكال العقلية والمنطقية السائدة في التصور والتفكير والاختزال، وتنبري لوضع قوانين أخرى أملاها طاعة الكائنات والمقولات إلى حكم سجيتها، فأتيح للشاعر أن يتبصر في حركتها الماورائية على نسق معين، ويرى كيف إنها تتشكل في وضعيات مختلفة، وهذا كله يرفد النص الشعري بطاقة من الايحاء ودلالة كبرى، حيث تتلاقى فيه أبعاد عدة، ويتكشف عن منافذ تقود إلى إمكانيات وبدائل لا تقبل الحدود أو الحصر.

إذن ليس هناك غرابة في التصور أو مجافاة لطبيعة الأشياء من رؤية الشاعر الظواهر والكائنات في انساق مغايرة وأشكال جديدة، مادام العالم يعود إلى التشكيل وفق تلك الرؤية الجديدة للشعر، كأن نرى الشاعر حمد الدوخي، كيف يصور مأساته التي هي مأساة الوطن من خلال الصور الغريبة، التي تقوم العلاقات بينها على تداعيات موجودات العالم الخارجي وانعكاساته في عوالم الذات التي ارهقها واقعها، فتمردت عليه بحيث لم نعد نشعر ألا بواقع من التناقض والعداء بين واقع ضاغط قاهر وذات متمردة ثائرة، يسعى كل منهما للإطاحة بالآخر وإخضاعه لتصويره ومفاهيمه الخاصة إذ يقول في قصيدته "مرايا مُكشّطة" (٧)

"هاون في الحديقة ..."
"بالقرب منهُ هنالك
أزهارُ..."
"تسترق السمع للعاشقين "
"الذين يجيئون من مطر القاذفات"
"ووسع الملاجىء .."

"لاشيء غير الدويّ"

"ولا فقه ألا كما يرضي القروي "

وأيضا ما كتبه عن ملحمة الطف و الأمام الحسين عليه السلام مصورا بذلك جانبا مهما لتقنية الاختزال الشعري

" ليس الحسين إماما بعضُ الحسين أئمّة"

"ليس الحسين إماما ظلُ الحسين أئمّة"

"... بخلق روح حسين قد أكمل الله حلمه"

"يا ابن النّبوة هبنـي نصحاً فصمتك حكمة"

"يا مثلَ جدّكَ روحاً ومثلهُ جئت رحمة"

"المجد كلمة حق وأنت حقٌّ وكلمة"

"يا نور بيت علي وليس في البيت عتمة"

"نوراً على النورِ تبقى يا أطهر النّاس ذِمّـة"

"لا تغمض العين حتّى لا يصبح الكون ظلمة"

"مولاي وجهي مرايا فأعطي الملامح بسمة"

"والقلب درب رعاة واختارك النـّايُ نغمة"

"أعدائك اليومَ عارٌ وناصـــروك أئمّة"

"الملكــوت سماءٌ وليس غيرك نجمة"

"ماذا ؟ وأنت حسين وشسْعُ نعلكَ قمّة "

كانت قد تماطرت موهبة الشاعر المبدع " د. حمد الدوخي " بعمق ما حملت هذه الأبيات من تحليقات وعي وعمق دلالة، نتوق بالوقوف عندها بجلال و خشوع مستذكرين – بثبات – مناسبة أربعينية سيد الشهداء الإمام الحسين (ع)، ونحن نتلمس و نتنفس بهذا اليوم ضوء و خصوبة تأريخ وضّاء، جاء يعيد للاذهان صحة و صدق معادلة تتفاخر زهواً و إعترافاً بمعنى اندحار سيف الظلم والطغيان على نصال إنتصار الدم طهورا... صبورا... متدفقا بشلالات إرتقاء سلالم المجد ومآثر الخلود، كما في ملحمة الطف التي نستقي من وجداناتها ومواقفها و نصوع بقاءها أملا و منهلا غزيراً لقيمة أن تكون الحياة حُرّة...أبية... متجسدة بروح عمق وصدق و هيبة صوت أبا عبدالله ثائرا... هادرا... وقوراً ... مدوياً يملأ عباب الكون ثقة و مهابة ليقول ؛ " هيهات ... منا الذلة ".(٨)

لا يمكن لأي كلام – شعراً كان أم نثراً – أن يوازِ أو يناسب شرف ما جاءت وجادت به ملحمة " الطف " بكامل نبل مقاصدها ونقاء فحواها، مهما الكلمات تسامت بهاءا و سطوعاً ... صفاءا و انتماءا لقيمة الشهادة عنوانا أنقى و أبقى و أصفى روحاً و دفقا ... و وجودا ربّانيا

ماثلاً بوهج عطاءات ذلك المجد الذي خصّه به الله " جل شأنه "، والرفعة التي ما من رفعة بعدها تمتد وتسمو على طول وعرض الزمان بجميع جهات الأرض.

وكلما يحين الحين مستذكرين مآثر أرث ما تركته هذه الملحمة في ضمائر عشاق الحياة عزيزة...كريمة... نقية ... صافية مثل روح و وجه " الحسين " الكريم بسخاء و جلالة دمه الطاهر الشريف، لتفيض منها المعاني وتتزاهى بها الألفاظ لتفصح عن مديات ذلك الحُبّ الصادق، الخالص الساكن في عمق أعماق من يرون و يعون معنى جوهر حُبّ أبا عبدالله، النابع من جمرات القلب عبر ينابيع ذلك المقام المقدس، الراسخ في قيعان الروح الذائبة ... التائقة في حُبّه النقي ... الأبديّ، بجدارة كل ما يحمل هذا الرمز، ساعة يعلو و يتسامى عنواناً شاملاً لكل معاني شرف الشهادة التي أحب وأخلص لها سيّد الشهداء و سيّد شباب الجنّة، بعد أن أقترنت باسمه مثابات وعناوين ماثلة فينا وهي تتواصل وتستمر على مرّ الدهور و تقادم الأزمنة و العصور.

ويقول الدوخي أيضا :

" من صدر محزون دما ينزفُ – والكل يدري أنه يعرفُ"

"يقص عن حرب وعن موطن – أشلاؤه يجمعها متحف"

"وعن قطار يحمل الملتقى – فات وما حس به الموقف"

"خطاه في كل السواقي ومن – مواسم الأشواق لا يقطف"

"وظل لاشيء سوى وجهه – يأويه .. أنّى راح مستهدف "

التنوع في الموضوع :

ولا زال النموذج الماثل بين ايدينا يغني بحثا في تنوع موضوعاته ووفرتها، فقد صدرت المجموعة الشعرية الجديدة " مفاتيح لأبواب مرسومة " للشاعر المبدع الدكتور " حمد الدوخي "، ضمت أربعين نصا شعريا بين قصيدة عمودية وقصيدة تفعيلة وقصيدة نثر، وكلها جاءت ضاجة بهموم الوطن وآلامه الفاجعه، والهم الوطني هو من انشغالات الشاعر حمد الدوخي الاساسية والذي عبر عن هذا الهم بلوعة هائلة تأسست ببراعة فنية وتصوير عالي، وقد امتزج هذا الهم بانكسارات الذات المريرة التي تصاعدت لتبلغ منتهى رثائها :

"يا ضفتين تضيع بي فإلى متى – مجدافك الذكرى وصمتك معبرُ"

"إقطع يديك سيسكتون لأنهم – طفل يريد إذا تظل تكبّر"

"أنا فيك، هل تدري، لمن ستبيعني – أنا كنت أغنية الطريق أتذكر ؟"

"قدمان في هذا الفراغ تشيلني – ويد لآلاف الدروب تؤشر"

"سفر يسلمني إلى سفر ليوصلني إليك فأتقيك فأكسر"

ولأن حمد يدرك إن الشاعر له مسؤولية في توسيع مساحة الأمل في ضيق هذه الحياة الظالمة التي تحاصر الإنسان بلا رأفة، فقد زخرف المجموعة ببضعة مقطوعات عن الحب وخفقة القلوب الراكدة مراهنا على دوافع الحياة الفطرية التي تبقى تدور في أعماق الإنسان المعذب مهما تراكم عليها من طبقات صدأ العدوان ونوازع الخراب :

وضمن حالة الحب التي تؤسر والحاسمة للتنمية والتطور يدرك حمد إن الأمومة كخلاصة لمحبة الله والأرض والوطن والناس، هي المفتاح المركزي الذي يؤسس لحالة التصالح العامة مع الذات والبشر والكون، فيقدم واحدة من أروع قصائد الأمومة هي ((صور شخصية لسيدة الحضور ؛ أمي فقط وكثيرا)) :

" لربابتي في الحزن شتلُ"

"وأنا بحضن الصوت طفل"

"الناي"

"يجدل دمعتي"

"بيديّ"

"فالمنديل حقل"

"أمي عباءتها حقول الله"

"و الأردان أهل"

"أمي :"

"الطريق إلى الجهات جميعها"

"يدها تدلّ"

"أمي حدائقها يداها"

"تستظل وتستظل"

"الغيم بعض غسيلها"

"شفقا

"وهذا الأفق حبل"

"أمي :

"تضاف إلى البلاد لكي تعرّفها"

أتدري ؟!

"فهي (أل)"

"البئر خادمها"

"و يوسفها أنا"

"وغدا ستدلو "..... ٩

في العموم إن كل ما يقال عن قصيدة النثر، ومهما تنوعت الآراء في تقيميها، يجب الحكم عليها كونها مقولات همّها الأساسي البحث عن قيم تناسب المقام، يمكن التعامل من خلالها مع الزمن المعاصر، ومكانة هذا الشعر تكمن بالدرجة الأولى في أنه يبعث في أكثر القراء انعزالاً لمشاعرهم وأفكارهم التي تغري بالالتزام، وتدفع إلى الوقوف والمجابهة، وإذا رصدنا من الشاعر الحديث شيئاً من المبالغة في الثقة بالنفس، كأن يغالي في الاعتداد بإمكانيته وقدرته الذاتية، فهذا أمر لا يمكن أن يحسب عليه، لأنه تعبير عن الطموح الإنساني النبيل الذي صاحب ولادة الإنسان على هذه الأرض، وكان دائماً في جوهر الحركات التجديدية التي أحدثت في العالم التغيرات تلو الأخرى.

السير ذاتي والانا ... والغنائية في القصيدة الحديثة :

لعل ابرز ما نجده عند الشعراء المعاصرين هذا التنوع في نصوصهم الشعرية الواحدة، وهذا ما لا يمكن الانفلات منه أو التجرد عنه بسبب تأثيره في لاوعي الشاعر الحداثي وخاصة في المرحلة المعاصرة الأنية ممن عايشناهم وواكبنا كتاباتهم من خلال تجربتهم الواقعية ،ولعل من اصدق هذه الأمثلة هو الشاعر عارف الساعدي بنصوصه الحديثة من خلال ظهور الأنا والذات في النصوص وما لهما من تمظهرات سيرذاتية و، بإستطاعتهما أن يضفيان على القصيدة صفة الغنائية، التي ربما اتهمها بعضهم بالخطاب والالقاء والتقريرية، لتحل محل الأجواء الدرامية التي تكون لها شحنات ديناميكية ولها القدرة على شحن وتوليد اللغة في النص الشعري، بدلا من رفعها و اخراجها من قعر الذات و تقوقعات الأنا،إن الشعر العربي الجديد والمعاصر أدرك عجزه الشعر الغنائي عن إكمال تجربته الإنسانية الأدبية التي أخذت تميل على الشمولية والعالمية(١٠) إذ تمثل الأنا المبدعة شعرا التي تكون فاعلا شعريا ينوب عن الشاعر في خضم عملية الخلق الشعري المركز المحوري الأساس ، الذي يتعين فحصه ومشاهدته وتأويله عندما يتعلق الأمر بأي عمل قرائي يجرأ عل اقتحام القصيدة(١١) كما يعمل عارف الساعدي إذ يقول :

"قبل أربعين عاماً "

"كنتُ في الصف الأول الابتدائي"

"المدرسة كان اسمها الطليعة العربية"

"أيام الحرب العراقية الإيرانية"

"كنتُ فاشلاً في درس الرسم جداً"

"لا أرسم إلا دبابات وأسرى مسحولين"

"وشمساً خائفة"

"فوق أكواخ الفقراء"

"هكذا كنتُ"

وهنا يتضح ظهور مؤثرات ألأنا في:

عند تكرار كلمة كنت ثلاث مرات وأيضا كرر الفعل الناقص كان, كنت , كانت.. أكثر من مرة،وتظهر الأنا المضخمة في مواضع كثيرة من القصيدة وبشكل لافت للنظر،بحيث يمكن تغييب الأصوات الأخرى في القصيدة تحت "سلطة الأنا الشاعرة " :

"لا أجيد إلا رسم الجنود الهاربين"

"والطائرات النازفة فوق القرى والبنايات"

"لم أكن أعرف إننا نستطيع أن نرسم مزارع ونساءً جميلاتٍ"

"وقبلاً عابرة"

"كنتُ أتصور أن الحرب هي اللوحة الوحيدة التي تتكرر في كراسة الرسم"

"لذلك كنتُ فاشلاً في رسم الأنهر"

"كلما رسمتُ نهراً .... غرقتُ فيه"

"وكلما غازلتُ قمراً في ليل الفلاحين إنجرحتُ به"

"وحين كبرت"

"كنتُ أضحك كثيراً على رسوماتي"

ولا أجد مسوغا للخوض في كثير من أنات أو أنوات الشاعر الساعدي كما يحب الناقد محمد صابر عبيد أن يطلق عليها ، فلاشك إن هذا الكم الكبير من متلازمات أنا عارف وهي بالتمام سبعة عشر مرة طرحت فيها جزئيات أو مسميات الأنا من فعل واسم ومصدر بالإضافة إلى غيرها وهذا عدد كبير بالنسبة لشاعر له بصمته وهو يعرف تأثير الأنا على النص الشعري، لكنه عالج الموقف عندما استعمالها استعمالا مبدعا ومميزا (١٢) وخاصة في قصائد قصيرة مثل هذه.

ويمكن تعريف الأنا بحسب المعجم العربي بأنه ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته، ولا يعارضه، أو يشاركه في ذاتيته وبصفته آخر، فهو مستقل بذاته عن غيره، وان كان منتجاً له وهو ناتج عن علاقته به، والأنا عند هذا الحال، متقلص في مساحته، متقوقع بنزعته الفردية، وساكن في مكانه وزمانه، ولكنه متسع في علاقته بالضمائر الأخرى ومتفاعل بها، من حيث الحركة والسكون .

فعند شعرية الخطاب يبدو الأنا متمثلا في سياقات متعلقة بالآخر الضمير، مثل ما يظهر الضمير في علاقته بالسياق مع الأنا في الخطاب ذاته، فالأنا، هنا له دور محوري محفز، لانه. ذات مركزية، إذ يتحدد حده الجغرافي، في أضيق الحالات :

"لكني فوجئت اليوم بلوحةٍ لطفلي الصغير"

"وقد انتشرت فيها الطائرات والدبابات"

"فيما هناك قتلى فارّون من اللوحة"

تعد الأنا نقطة تمحور الهوية الواعية، وفي الوقت نفسه تعد الذات هي كل الشخصية بكل جوانبها الشعورية واللاشعورية، وتضمن الأنا التي هي الدائرة صغرى ضمن الدائرة الكبرى الذات؛ فالذات هي كلية ومركزيةٌ في وقت واح، تتعاضد في ضوء انجذابها الدائم إلى الآخر.

قد ننظر إلى الذات بنظرة سيمولوجية، إذ إن كل ذات تجد نفسها في محل للتساؤل، لأنها تفتح مجال داخل الدال أينما تواجد والذاتَ السيمولوجية هي : عندما تستخدم الذات السيمولوجيا في الخطاب، تتّبع مسارا يمكن أن نشببه بمسار الذات المتكلمة في الميدان النفسي، وبالتالي الإنسان والعالم، لا يمكن أن يكونا إلا إذا قُرِئا بوساطة العلامات، فبحسب الأميركي بيرس، فإن العالم بما يحتوي من أشياء وكائنات، هو يمثل منظومة سيمولوجية ، كما أن الإنسان الكائن الذي يتصف بالمبدع الوحيد الذي يصنع العلاقات ويكتشفها و يتداولها وينقلها عبره إلى غيره، بالإمكان عدّه هو العلامة الكبرى، وهذه العلاقات والعلامات هي التي تجعل من الإنسان إنسانا، أي تصنع له الهوية الإنسانية أو الهوية الثقافية، وتجعله ينماز عن غيره من الكائنات والموضوعات الأخرى.

من هنا ننتقل إلى فرضيات ومقولات السيرة تعالق الذات، والأنا الأخر بالوطن، ولنا هنا قبل كل شيء يجب التساؤل: ما أنواع وأشكال السير؟ وهنا بالإمكان نذكرها بشيء من التفصيل:

"أسئلة السيرة " " السيرة الغيرية " السيرة الذاتية " (١٣)

١- السيرة

شخص كتب عن سيرة أشخاص غادروا الحياة منذ زمن بعيد :أنبياء، ملوك،قادة أبطال..الخ ،ففي هذه السيرة يشتغل من يسرد على الأمانة التاريخية أولا والوقائع كما حدثت وبأسلوب فني بسيط، ومثال على ذلك السيرة النبوية لأبن هشام وغيره

٢- السيرة الغيرية:

هي سيرة تختلف بأمران، الأول : أن يكتب السارد عن شخص حي أو ميت لزمن قريب، والآخر:أن يعرف السارد الكثير بتفاصيل الشخصية وذلك من خلال العلاقة المباشرة معه .

٣- السيرة الذاتية:

راو يكتب عن نفسه سيرة دقيقة بإمكانيات فنية ووقائع حقيقية، ويشمل ذلك جميع الأشخاص الذين لهم علاقة سلبا وإيجابا مع حياة الراوي،و يكون السرد بضمير المتكلم لانه الشخصية الرئيسية أو المركزية في السيرة وهو أيضا الأنا ا العالمة بكل تفاصيل وحيثيات السيرة.

تشكلت عناصر السيرة الذاتية في قصيدة "لوحة الحرب الجديدة "لعارف الساعدي على المبنى الإنساني قبل كل شيء من الآتي:

"بنية القصيدة السير ذاتية"

١- سيرة الأنا

٢- سيرة الأنا و الآخر :قصيدة العائلة

"القصيدة السير ذاتية"

١- سيرة الأنا

إن السيرة الذاتية "هي سيرة شخص يرويها بنفسه (١٤)،ولكن هذا التعريف لا يعطي السيرة الذاتية الخصوصية والسمات في قواعد الكتابة ،إذ من الصعب ان نجد تعريف دقيق وشامل لهذا النوع الأدبي الجديد،نظراً لما له من مدخلية في إشكالات عدة ،منها ما يتعلق بالعلاقة و الصلة بينها وبين المناهج النقدية، كالتاريخي، والنفسي، إذ إن فأصحاب المنهج التاريخي اعدو السيرة الذاتية ظاهرة حضارية تنشأ وتتطور بظروف مركبة في سياق اجتماعي و ثقافي ذو طابع محدد أما أتباع المنهج النفسي فقد وثقوا السيرة الذاتية بالشخصية التي تكتبها واهتموا بالمشاكل النفسية الأخرى" مثل قوة الذاكرة و ضعفها مما أدى إلى الابتعاد بها عن جوهرها الأدبي وكذلك الفكري،وعند طرح السؤال :ما هي السيرة الذاتية ؟ يلتحق أحيانا سؤال آخر :ما هي السمات للسيرة الذاتية الجديدة؟، وعندها نكون قد صغنا مفهوما جديداً، قد يكون مفهوما شخصيا على غرار ما تكون عليه السيرة الذاتية، فهذا الانتقال بالاحكام من الواقع إلى القيمة، سيكون حتميا في هذا المجال الذي هيأ بأن تدخل القيمة نفسها ضمن مقاييس التعريف.

فعندما نطبق ذلك على قصيدة الشاعر الساعدي " لوحة الحرب الجديدة " يقول عارف محدثا بصدق عن واقع حالة نفسية تحاوره وتضايقه حد الاختناق كل يوم:

"كنتُ فاشلاً في درس الرسم جداً"

"لا أرسم إلا دبابات وأسرى مسحولين"

"وشمساً خائفة"

"فوق أكواخ الفقراء"

"هكذا كنتُ"

"تعريف لوجون إذا ما استبعدنا منه لفظة الرواية النثرية،نجده يؤكد على معايير يمكن تواجدها في النص السيرذاتي الشعري والنثري معا،على النحو الآتي " (١٥):

شكل الكلام قصة حياة مستعادة وهذا يتطلب حضوراً فعالاً للذاكرة وهذا ما يتوفر بدقة وحرص لدى الشاعر عارف الساعدي،من خلال صدق الأقوال الشعرية لديه : كما في القصيدة نفسها:

"كنتُ أركض إلى المكتبات القريبة منا"

"لأهديه الألوان المائية والخشبية"

"وها أنا أنتظرُ رسوماته كل يوم"

"عسى أن يرسم امرأةً جميلةً أو نهراً صغيراً"

"يلعب به بدلاً من حمَّامه البلاستيكي"

"وكنتُ أظن إن الزمن تغير"

"وإن الحياة ستمنح الأولاد زمناً أجمل"

"لكني فوجئت اليوم بلوحةٍ لطفلي الصغير"

"وقد انتشرت فيها الطائرات والدبابات"

"فيما هناك قتلى فارَّون من اللوحة"

وموضوع سيرة حياة المؤلف وتاريخ تكوين شخصيته أي الأنا موضوعاً للسرد كما يقول :

"قبل أربعين عاماً"

"كنتُ في الصف الأول الابتدائي"

"المدرسة كان اسمها الطليعة العربية"

"أيام الحرب العراقية الإيرانية"

و موقف الشاعر

التطابق بين أنا المؤلف وأنا السارد وأنا الشخصية المركزية كما في :

"كنتُ أتصور أن الحرب هي اللوحة الوحيدة التي تتكرر في كراسة الرسم"

"لذلك كنتُ فاشلاً في رسم الأنهر"

"كلما رسمتُ نهراً .... غرقتُ فيه"

"وكلما غازلتُ قمراً في ليل الفلاحين، انجرحتُ"

و النظرة الخلفية في السرد أي التثبت بمنظور الاستعادة في القصيدة الذي هو النص السيرذاتي الشعري كما في القصيدة وهي لوحة تتشكل من سلسلة مشاهد من سيرة وذكريات ومذكرات الشاعر عارف الساعدي فهو لم يأت بها من خيال فقط وانما من شيئا من، إذ انها لوحات حقيقية مهمة وغالية على الشاعر وتشكل مدخلا حقيقيا لمرحلة من مراحل عشق الشاعر ومعاناته الإنسانية

"وحين كبرت"

"كنتُ أضحك كثيراً على رسوماتي"

"حتى أني انتظرتُ أربعين سنةً ليدخل صغيري المدرسة"

"وهاهو في الصف الأول الابتدائي"

"في مدرسة اسمها الجهاد"

"وما بين الطليعة والجهاد"

"زمنٌ حاشدٌ بالغائبين"

سيرة الأنا الآخر قصيدة العائلة وهذه النوع غالباً ما يتحرك بثلاثة أو أربعة جوانب منها الأم والأب والابن.. الخ، ففي هذه القصيدة في الديوان يستذكر الشاعر أيامه وشبابه ثم يقارنها مع أيام وشباب ابنه، هناك أكثر من دال مباشر يشير إلى شيء مباشر من القيم المادية والمعنوية والإنسانية في مرحلة تبادل الدور بين طفولة الأب وطفولة الابن، التي تجددت بألم يمزق في نياط قلب الشاعر:

"وكنتُ أظن إن الزمن تغير"

"وإن الحياة ستمنح الأولاد زمناً أجمل"

"لكني فوجئت اليوم بلوحةٍ لطفلي الصغير"

"وقد انتشرت فيها الطائرات والدبابات"

"فيما هناك قتلى فارَّون من اللوحة"

"وضعهم طفلي الصغير خارج الإطار"

لا يحمل هما للوطن شخص مثلما يحمله الأديب الواعي، فالسياسي قد ينطلق من ايديولوجية سياسية، أما الاديب فينطلق قبل كل شيء من وعيه الإنساني وفكره الخلاب وشعوره بأهمية بناء الإنسان أولا، ومن هنا انطلق الشاعر عارف، في كتابته عن الوطن، أثناء الحوادث المؤلمة المؤسفة المفجعة في مر بها العراق والتي لن تنتهي لان في هذه الأرض إشارات لدى كل الديانات , فلن ينتهي فيها الصراع إلا قبل قيام القيامة بدقيقتين كما يقول احدهم ؟ .

فالشاعر الساعدي مخلص لعراقيته وبلده، وشأنه شأن بقية الأدباء والمثقفين، كان يشعر بوقع الحرب على بلده، وبضغط تبعاتها على أبناء جلدته، من الحصار الاقتصادي الذي فرضته أمريكا على العراق بسبب نظام صدام المجرم، أو تهديدات أمريكا وأطماعها في المنطقة التي كانت تطال العراق بين وقت و آخر، فلم يكن هناك دور للحكومة العراقية لتقوم برد فعل حقيقي إزاء هذه الحروب والتهديدات، فانعكس رد فعلها على الشعب بسلوكيات رفضها كل من يحمل وعيا وأدبا وثقافة وعلما ، فرفعوا أصواتهم بأكبر "لا" مثلت الرفض للحكومة واعونها،ولم تكن الحكومة مهتمة بالشعب كما يرى عارف، بل كانت ردود أفعالها الاستهزاء بامريكا، وكان نظام صدام يصرح بما لديه من ترهات مليون مقاتل لتحرير القدس، وان له قدرة في تدمير أمريكا وأعوانها، والحقيقة ليس لديه إلا مليون بعوضة وزعها بعدالة وإنصاف لتقتات على دماءنا وجروح قلوبنا.. (١٦)

النتائج

١- النتيجة التي تخلص إليها أن التجديد والتغير في الشعر الحديث ورؤاه الأبداعية هما علّةُ وجوده

٢- وأنّ تجاهلهما يقود بشكل أو بآخر لى تجاهل دعاويه التحرّيه، والإعراض عن طموحاته الكبرى، ومن أبرزها : الرفض والتمرد والتجاوز على كل المعوقات التي تحدّ من فعالية الجماهير في سعيها إلى البناء والتقدم،

٣- إن المسألة لا تكمن في تتبع جذر هذا الشعر وربطها من ثم بهذا المصدر أو ذاك، كما إنها ليست في وجود شكلين متغايرين من الشعر، وإنما جُلّ المسألة يكمن في أمرين:

- هو في فهم بواعث هذا الشعر، وإدراك مراميه، وإعداد أنفسنا للدخول في مجاهيله، والتوغّل في إبعاده، فلا نكون مؤهلين لمعانيه جماليته إلا إذا قاربناه من منطلق كونه تعبيراً عن أزمة عصر بكامله، يجسد هواجس أبنائه وطموحهم، وينثال على مُرتاده بالكشف تلو الكشف، ويغريه بمتعة التأمل والتقصيّ، ويوسع من دائرة التساؤلات، فيعود بهم إلى طبيعتهم البشرية .

- فهو في وظهور نوعين من الشعراء والنقاد والقرّاء، ولكل من هذين النوعين توجهاته النفسية ومساراته الفكرية، وتوجهاته الثقافية والاجتماعية، وفي ضوء ذلك يتحدد الاتجاه الأدبي الذي يميل إليه كل منهما، فيلتزم بنظرية نقدية مختلفة تماماً للأخرى من حيث المنطلق والهدف.

٤- الدافعية إلى هذا الاختيار أو ذاك لا يخضع للأهواء الشخصية والميول الفردية، كالمزاج والحساسية فقط، بل إنه يتحدد ايضاً وفق معايير اجتماعية تتعلق بالتربية، وبالأجواء السياسية والثقافية المحيطة وبهذا فان الشاعر الحديث يصدر عن موقف رافض لمعظم إفرازات الماضي بإشكاله المعهودة، فيتجاوزها إلى بناء علاقات جديدة يواجه في ضوئها ذاته، ويحكم على ما يجري خارجها، ليخلص من ذلك كله بحصيلة من الرؤى والكشوف، يكون من شأنها إعادة الترتيب والتنظيم إلى الأشياء التي كانت تثيره باختلالها واضطرابها، فشعره في الحقيقة ثورة تبدأ بالشعر ولا تتوقف عنده، ما نقوله عن هذا الشعر ليس كشفاً جديداً، فهو أمر معروف، بل أن مبدعيه أنفسهم يرون فيه ميزة يعتزون بها.

٥- الهوامش

(١) ينظر :اسماعيل، عز الدين إسم، الشعر العربي المعاصر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م،ص٢٩.

(٢) الحسن، ماجد مجموعة (لااريد صعوداً)،، ٢٠٠٨، قصيدة اعلان متأخر، ص٥

(٣) ينظر :أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨، ص٩.

(٤) ينظر:عبد المقصود عبد الكريم، النقد البنوي الحديث، مقال في مجلة الوحدة / السنة الأولى – العدد ١٢،١٩٨٥، ص١٣١.

(٥) عادل، مروانمجموعة (تراتيل طيور محنطة)، ، ٢٠٠٩، قصيدة اغنية للجهة الاخرى، ص٦٨.

(٦) ينظر :الساعدي، عارف، مجموعة (عُمرُه الماء) ، ٢٠٠٩، قصيدة اللوحة، ص٦٨.

(٧) ينظر :مجموعة (الاسماء كلها)، حمد الدوخي، ٢٠٠٩، قصيدة مرايا مُكشّطة، ص٥

(٨) ينظر : الدوخي، حمد،/مفاتيح لأبواب مرسومة" مجموعة شعرية للدكتور ،موقع الناقد العراقي،٣/١٠/٢٠٠٩

(٩) ينظر : المصدر السابق

(١٠) ينظر :المصدر السابق

(١١).ينظر :القصير، د. فيصل،بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة،،وزارة الثقافة، الاردن،٢٠٠٠٦،:٣٦

(١٢).ينظر عبيد، محمد صابر، شعرية طائر الضوء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١،بيروت،٢٠٠٤،:٤٥

(١٣). ينظر :النعيمي، كمال عبد الرحمن كلام المرايا(دراسات نقدية في الشعر والقصة والمسرح والرواية)، الشؤون الادبية،النشاط المدرسي،تربية نينوى،(٣٩)٢٠١١،:٤٢

(١٤).ينظر :ابراهيم، عبد الله أسئلة السيرة الذاتية . قراءة في (أمواج ـ سيرة عراقية)، مجلة (شرفات) العدد الثالث عشر، السنة السادسة، أيار، ٢٠١٩، العراق/ الموصل:٥٣

(١٥). ينظر :جون، فيليب،أدب السيرة الذاتية في فرنسا (المفاهيم والتصورات)، ،ترجمة: ضحى شيحه، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الرابع، السنة الرابعة، ١٩٨٤م، : ٢٨

(١٦) ينظر: المصدر السابق

المصادر والمراجع

١. القصيري، فيصل،بنية القصيدة في شعر عز الدين المناصرة ،وزارة الثقافة، الاردن،٢٠٠٠٦،:٣٦

٢. الدوخي،حمد،مفاتيح لأبواب مرسومة" مجموعة شعرية "،موقع الناقد العراقي،٣/١٠/٢٠٠٩

٣. الدوخي، حمد،مجموعة (الاسماء كلها) ، ٢٠٠٩، قصيدة مرايا مُكشّطة، ص٥

٤. الساعدي،عارف،مجموعة (عُمرُه الماء)، ، ٢٠٠٩، قصيدة اللوحة، ص٦٨.

٥. عادل، مروان مجموعة (تراتيل طيور محنطة)، ، ٢٠٠٩، قصيدة اغنية للجهة الاخرى، ص٦٨.

٦. عبد المقصود،عبد الكريم، النقد البنوي الحديث، مقال في مجلة الوحدة / السنة الأولى – العدد ١٢،١٩٨٥، ص١٣١.

٧. أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ١٩٧٨، ص٩.

٨. الحسن : ماجد مجموعة (لاارید صعوداً)، ، ٢٠٠٨، قصيدة اعلان متأخر، ص٥
٩. جون،فيليب،. أدب السيرة الذاتية في فرنسا (المفاهيم والتصورات)،،ترجمة: ضحى شيحه، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الرابع، السنة الرابعة، ١٩٨٤م، : ٢٨
١٠. ابراهيم، عبد الله،أسئلة السيرة الذاتية . قراءة في (أمواج ـ سيرة عراقية)، مجلة (شرفات) العدد الثالث عشر، السنة السادسة، أيار، ٢٠١٩، العراق/ الموصل:٥٣
١١.النعيمي،كمال عبد الرحمن،.كلام المرايا(دراسات نقدية في الشعر والقصة والمسرح والرواية) الشؤون الادبية،النشاط المدرسي،تربية نينوى،(٣٩)٢٠١١،:٤٢
١٢.عبيد، محمد صابر .شعرية طائر الضوء، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١،بيروت،٢٠٠٤،:٤٥
١٣. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٣م،ص٢٩.

Sources and references

1. Al-Qusiri, Faisal, The Structure of the Poem in the Poetry of Izz Al-Din Al-Manasrah, Ministry of Culture, Jordan, 20006,: 36

2. Al-Dukhi, Hamad, “Keys to Painted Doors,” a poetry collection, Al-Naqid Al-Iraqi website, 10/3/2009.

3. Al-Dukhi, Hamad, collection (All Names), 2009, poem Scraped Mirrors, p. 5

4. Al-Saadi, Arif, collection (The Age of Water), 2009, the painting poem, p. 68.

5. Adel, Marwan, Collection (Hymns to Stuffed Birds), 2009, poem A Song for the Other Side, p. 68.

6. Abdel Maqsoud, Abdel Karim, Modern Structural Criticism, article in Al-Wahda Magazine / First Year - Issue 12, 1985, p. 131.

7. Adonis, The Time of Poetry, Dar Al Awda, Beirut, 1978, p. 9.

8. Al-Hassan: Majid’s collection (I Don’t Want to Go Up), 2008, poem Late Announcement, p. 5.

9. John, Philip. Autobiographical Literature in France (Concepts and Perceptions), Translated by: Doha Shiha, Foreign Culture Magazine, Fourth Issue, Fourth Year, 1984 AD,: 28

10. Ibrahim, Abdullah, Biography Questions - A Reading in (Awaj - An Iraqi Biography), (Sharafat) Magazine, Issue Thirteen, Sixth Year, May, 2019, Iraq/Mosul: 53

11. Al-Nuaimi, Kamal Abdel-Rahman, Mirrors' Speech (Critical Studies in Poetry, Story, Theater, and Novel) Literary Affairs, School Activities, Nineveh Education, (39) 2011,: 42

12. Obaid, Muhammad Saber. Poetics of the Bird of Light, Arab Foundation for Studies and Publishing, 1st edition, Beirut, 2004,: 45.

13. Ezz al-Din Ismail, Contemporary Arabic Poetry, 1st edition, Dar al-Awda, Beirut, 1973, p. 29.